

خليل السكاكيني

رائد مجدد في الأدب العربي المعاصر

١٨٧٨ - ١٩٥٣

ما ندمت على إحجامي عن لقاء معلم أديب لا ينسى كما
ندمت على إحجامي عن لقاء أكبر أديب ومعلم في عصره ووطنه.

أنبتته القدس بفلسطين عام ١٨٧٨ قبل نكبة العرب باحتلالها
واغتصابها وكان رائداً من رواد الأدب العربي المعاصر وقد شارك في
الدعوة لتحرير الأدب من التكلف والتقليد، وبقي خليل السكاكيني
دائماً على تحرير الفكر والتعبير في حياته وفي مؤلفاته بعد وفاته.

وقد حملت لقب هذا المعلم الأديب من والدي محمد
السكاكيني الذي كان يقول: أنا اليوم لبناني وإن تكن لي جذور
لأجدادي مصرية وكان أخي الأكبر خليل سميّاً لهذا الأديب

المجد، على أنى لم أسع إليه فى وطنه القدس أو فى القاهرة بعد تشريد الفلسطينيين عن ديارهم وبلادهم فقد تهيت لقاء هذا الأديب بل ٣٠٠مخرجت من هذا اللقاء إذ قيل لى إنه حزين ومفجوع بوحيد سري وبزوجته سلطنة ومدينة القدس وكنت خجلة وجلة من ربى ومن نفسى.

ولو لقيته لسألته عن أصله وأهله، وعن لقبه الذى تلاقى عنده عقيدتان فى وجه الحق والسلام.

فلئن فاتنى فى حياتى هذا اللقاء فما فاتنى هدفه بعد غيابه عن الدنيا - فيما رأيت وسمعت أو قرأت فى ذكرياته بيومياته - إذ قال فيها: « أنا لا أتمنى إلا إلى نفسى فأنا خليل السكاكيني » وكأنه بقوله هنا يريد أن يقول إن الإنسان بعقله لا بأصله وأهله، على أنه قال: جاء جدى الذى لم أعرف اسمه قبل أربعة قرون إلى القدس ليعمل فى التجارة ويجاور الأماكن المقدسة وقد عرف خليل جدته اليونانية التى علمت أباه لغتها وكان والده من تجار الخشب وكان متعلماً يعرف لغة أمه اليونانية والروسية والتركية حتى أنه كان يدعى فى العهد العثماني للترجمة إذا نزل القدس غريب عنها. ولقد أنبتته القدس خليلاً الذى عرف بمكارم الأخلاق واختارت أباه طائفة الارثوذكس ممثلاً لها فى أكثر المجتمعات الخيرية وفى الحكومة العربية. كان خليل السكاكيني رائداً من رواد التجديد فى الأدب العربى المعاصر وكان معلماً للأدباء وأديباً ومؤدياً للمعلمين، وقد عرفته بلاده الفلسطينية كما عرفته مصر والبلاد العربية.

تعلم خليل السكاكيني العربية من أكبر معلميها في أيامه وهو نخلة زريق الذي كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ثم عضواً في مجمع فؤاد بالقاهرة. وقد تخرج خليل من الكلية الانكليزية في القدس. وفي مطلع هذا العصر أخذ في تعليم نفسه بنفسه وتأديها حتى غدا في بلاده أكبر أديب ومعلم، على أنه لم يحمل أية إجازة جامعية أو اختصاص بالتربية بل كان بالفطرة والممارسة مربيًا ومعلمًا.

عين السكاكيني، خليل في عهد الانتداب البريطاني عام ١٩٢٢ لتدريس المعلمين وفي عام ١٩٢٥ عين مفتشاً عاماً للمعارف الفلسطينية وفي عام ١٩٢٦ عرض عليه أن يكون في البرنامج العربي مديراً ومراقباً فرفض هذا المنصب وقد علق على كلامه بأن الإذاعة كانت تتصل بأسرائيل.

وفي العقد السابع على تأسيس الانتداب الانكليزي على فلسطين قال خليل السكاكيني: ساقى رجلاً بلا ارتباط سياسي فلا أنتمى إلى حزب أو جماعة بل ساقى عاملاً لمصلحة الشعب الذي أعيش بينه، لكن توقعاته تغيرت إزاء الظروف السياسية التي مرت بها في أثناء الحرب العالمية الأولى ودعوته للإنسانية ومن تهديد « الصهيونية » لعرب فلسطين وتأييد بريطانية للصهيانية جعل السكاكيني قومياً أكد تلاميذه اعتزازه بالجنسية العربية وأخذ يشر في مقالاته بالقومية العربية وأن أقوم مقوم للأمة العربية هو لغتها وهاجم

السكاكيني الذين يستخدمون الانكليزية والفرنسية فى الحديث وهم من العرب، وقد كشف عن الضعف العربى المعاصر، غير أنه لم يكن حراً فى هذا الاتجاه وظهر فى الثلاثينيات جيل من الكتاب كانوا أصغر منه سناً، فيهم قدرى طوقان الذى أتم تعليمه فى الجامعة الأمريكية فى بيروت. وفى أثناء الحرب العالمية الأولى أقام خليل السكاكيني فى دمشق وعقد صداقة وعلاقة مع الشاعر والصحافى خير الدين الزركلى الدمشقى وأتيح له أن يطلع على النهضة الأدبية العربية فى مصر فانتقل إلى القاهرة وعين مديراً لإحدى المدارس الارثوذكسية الخاصة ولم تكن مصر فى ذلك العهد تدعى زعامة النهضة الأدبية للعالم العربى فحسب بل كان هناك اتجاه يتبلور بين المثقفين المصريين.

وقد عاش السكاكيني بعد هجرته إلى مصر يؤمن بأن وطنه هو الوطن العربى كله وقد اختير فى مصر عضواً فى مجمع فؤاد للغة العربية خلفاً للشيخ مصطفى عبد الرازق وعضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق خلفاً لاستاذة نخلة زريق، وقد جمعت يومياته بعد وفاته فى كتاب بعنوان كان يردده فى حياته.

أنشأ خليل السكاكيني مع الاستاذين إبراهيم الخورى ولبيب غليقة كلية النهضة الثانوية وبقي يديرها حتى وقعت نكبة فلسطين فجاء مصر واقام فيها وفجع بولده الوحيد « سرى بعد أن فقد زوجته سلطنة فضعضته هذه النكبات وقضت عليه. ومن مؤلفاته: الجديد فى القراءة العربية؛ سيرى الدليل؛ مطالعات؛ ماتيسر؛ لذكرارك فلسطين بعد الانتداب.

وكان ممن رثوه فى مقالات: عيسى الناعورى الأردنى وزكى مبارك المصرى ورفيق الحسينى الفلسطينى.

ومن أصدقائه: اسعاف النشاشيبي واسحق موسى الحسينى وغيرهما كثير وكانت وفاته فى القاهرة حيث دفن فيها.

أما كريمته: هالة ودمية فهما محترفات مهنة التعليم فى... رام الله.

* * *